Elaph

Mai 2011

كرمون عبدالله

GMT 17:45:00 2011 الأحد 22 مايو

1Share

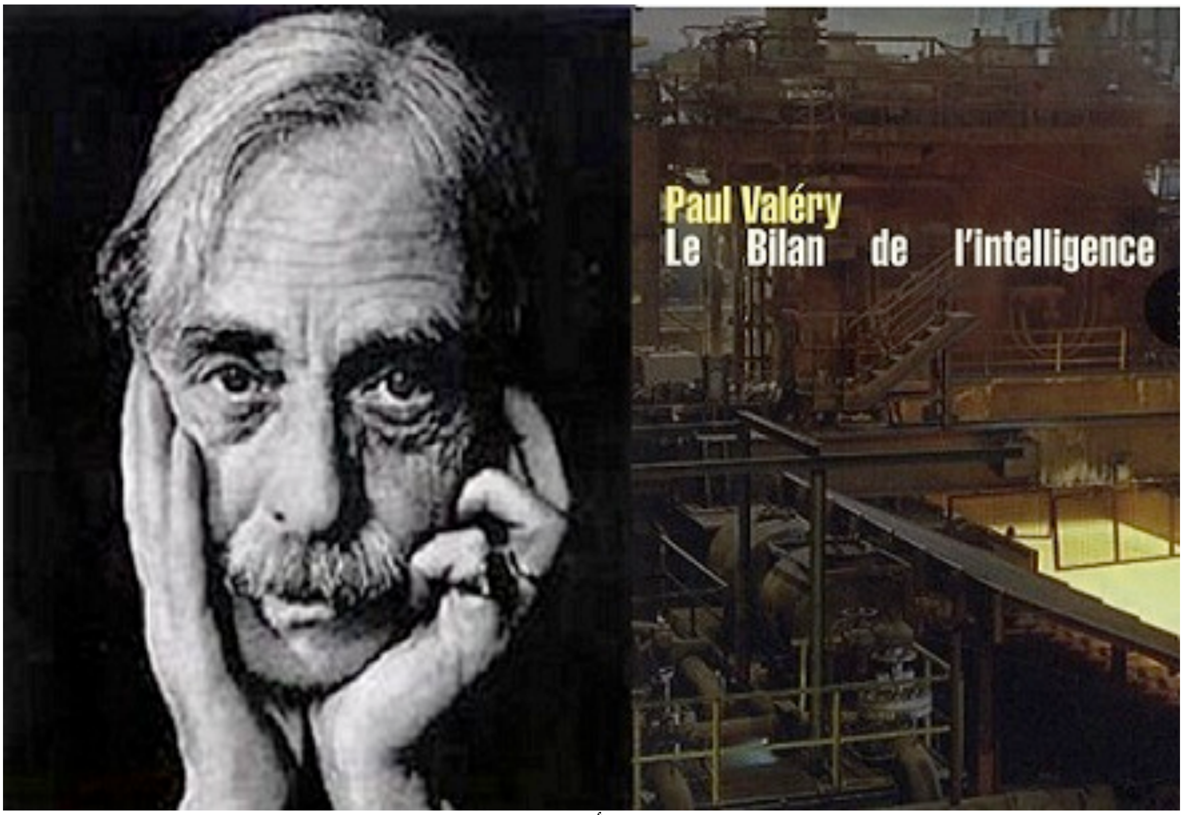

مطولة، محاضرة ضم الذي الكتيب نقرأ ونحن نتخيل **:باريس من كرمون عبدالله**
فاليري بول المعروف الفرنسي الشاعر كاتبَه الباريسية، أليا دار مؤخرا أصدرته
من عشر السادس في أنال جامعة طلبة من جمع أمام يلقيها وهو ،(1871_1945)
أنه غير هشة، بنية ذا القامة، قصير الرجل كان لقد .1935 لسنة الثاني كانون/يناير
إلينا يتناهى وقد فارغ، بول جان هو آخر شاعر عنه قال ما حسب عداها ما في كبيرا كان
.ظلالٌ بونفوا، إيف كتب كما وكأنها، المتهدجة كلماته صدى خيالنا في أيضا
أتي فاليري لأن العقل، أول "الذكاء تقييم في"ب المحاضرة هذه عنوان ترجمة يمكننا
الذي الكاسح التطور على فيها عرج كما وحدوده، البشري العقل منجزات على فيها
المقام في لهم ذكر بما الطلبة مذكرا سلبيات، من كله هذا رافق وما سان،الإن ذهن عرفه
الوقائع مسائلا "الآن العالم هذا أمور عليه هي ما" على نظره ركز لما قبل، من نفسه
لا عارمة فوضى بأن لهم مشيرا ،"عليها وشهودا فيها فاعلين" وأترابه هو كان التي
الديمومة، نتحمل نعد لم" إذ بكاملها، المعاصرة الحياة جوانب اعترت قد حد لها يُعرف
"...الفراغ تتخشى فطبيعتنا .متابعا من نستفيد نعد ولم
بُعث، قد الأمس عظماء من أحدا أن يتخيل بأن أحيانا يتسلى بأنه فاليري لهم أفشى

تراه المدينة، في معه يتنزه وبينما باريس، في دليل دور له يؤدي كي يتطوع ثم
كما الساذجة، الوسيلة هذه طريق عن فيشعر، وبتعجبه، لاستفسارات،با يرهقه
الذي الشاسع بالبين يراه، مما يوم كل ويستغرب يندهش أن على ترغمه والتي كتب،
اليوم. وحياة الأمس حياة بين الفاصل الزمن خلفه
المتتاليات من حشدا سوى ليس الرجل خطاب أن العقل لأذكياء واضحا سيبدو
للتغييرات الرصين التحليل مضمار في شيئا تؤخر ولا تقدم لا التي ةالإنشائي
يحوم فاليري ظل .المجتمعات من لمجتمع التاريخية الصيرورة على تطرأ التي
أسلوبه وجمال لغته انسيابية ولولا آخر، إلى موضوع من متنقلا العموميات، في بذلك
أكثر في تخلو لا تلك الذاتية تهتأملا لكن نصه، قراءة في واحدة برهة استغرقنا لما
وتيرة بتسارع المندهش انشغاله من بالرغم رأي، ونفاذ فكر سعة من موضع من
الماضي القرن ثلاثينيات في يتساءل .الحياة مناهج وبتغير العلمية الاكتشافات
يسعى أو المعاصرة، الحياة نظم لنابليون أو لديكارت نفسر أن لنا يمكن كيف عن
نيوتن، أرخميدس، قبيل من الأسلاف تعامل كيفية حول لحقيقةا تقصي إلى
رد سيكون سوف ماذا جدلا، يفرض إذ زمنه، في العلمية المنجزات مع ديكارت، غاليلو،
لقد) جهنم أركان من ركن في وهم أيديهم، بين (طاقة مولد) دينامو وُضع لو فعلهم
الشيء هذا مع سيتعاملون كيف الأفذاذ هؤلاء يعرف لن ،(إرسالا إليها الرجل أرسلهم
بالنسبة جديدا، عنصرا يجهلون لأنهم جدوى، بلا ألكفهم بين وسيقلبونه الغريب،
هذا لأن فاليري، كتب كما الدماغ، مع لنا يحدث ما هو نفسه الأمر إن .التيار هو إليهم
لنا. بالنسبة غامضا يزال ما الطبيعي (المحول) المولد
ممجوج، من الأخير هذا يرافق ما كل من جدا حانق ولكنه دم،التق يمقت فاليري لأن ليس
الحال، عليه صار وما كان ما وبين والماضي الحاضر بين المقارنة عن يكف لا نراه لهذا
عهوده أول وبدائية حيوانية إلى الإنسان يرتد أن من خشيته عن يعبر أن دون هذا وليس.
الموهوبين تكفي كانت (عشر لسادسا القرن أي) رونسار الفرنسي الشاعر عهد ففي
عصر في جدا متجاوزا بل كافيا يعد لم ما وأدب، شعر عيون ينجزوا كي وأقلام شمعة
فاليري). أيام) السرعة
فلم بعد، موجودة غير لأحد ليست التي الحرة والأملاك الأرض كون من الرجل يتأفف
تملؤه لا الذي الزمن فيها انتفى مثلما البسيطة، وجه على شاغر واحد مكان هناك يعد
جزر" اتجاه في المدنية مغادرة إلى مثلا وغوغان ستيفنسون هب لذلك .متشعبة مشاغل
فيها". ساعات لا
يزعج لم" حيث الجميلة، الأزمنة إلى الحنين أسباب في النبش فاليري يواصل
وقت هيفوت لا كي أبدا فيرجيل يستعجل لم كما ."يوما أفلاطون الهاتف ولا البريد
قطار". مرور
المجتمع شؤون من ذاك أو الأمر هذا عن ملاحظة فيقدم حوله ناظريه فاليري ينقّل
الواقع في هو للبناء الأسمى الهدف بأن ويرى المعمار، طرائق فينتقد وشجونه،
أن على مؤكدا والتعليم، التربية على يعرج ثم وينعشها، الأبصار يسعد ما تحقيق
نأخذ ألا علينا بأن إيانا منبها تماما، عليهما متوقف كاءوالذ العقل مستقبلي
لا فسيح فضاء للجميع معلوم هو كما الحياة أن ذلك الضيق، معناه في هنا التعليم
سوف ما النظامي، التعليم هو هنا فاليري يهم ما أن غير تلقين، مناسبات من قط تخلو
كبيرال. واستياءه انتقاداته ضمّنه مطولا، حديثا له يفرد
النظام تطال قبل، من ذكرناه التي "زماننا فوضى" كون من كثيرا فاليري تأسف
في الشواهد، ونيل المراقبة على مبني النظام هذا أن يرى .أيضا الفرنسي التعليمي
هو (الشهادة) الدبلوم :يلي ما إعلان في أبدا أتردد لا" :فاليري فيه يقول الذي الوقت
وانتفى إلا الشهادة نيل هو الأكبر التعليم هدف كان وكلما ،"للثقافة اللدود العدو
الرصين. المعرفي التكوين أي الأصلي، وجودها مبرر

في كلها الفجوات هذه محدثي على تأنيبه لهجة فاليري شدد هذا استنكاره سياق وفي الشاسع وبعده الفرنسي، الخط ضبط وغرابة عبثية ذاكرا والتعليم، التربية جسد كون من ، امتعاضه، عن المضمار، نفس في عبر، ثم للكلمات، الصوتي سوغالم عن في حقيقيا تعليما ليس (سنة ثمانين قبل وهذا) واليونانية اللاتينية تعليم عبارات حفظ إلى سوى أبدا يفضي لا عليه، كان كما اللغوي، الدرس ذلك أن ذلك شيء، هاتان تُجعل لا أن لشأنا هذا في بذلك فاليري اقترح .لشيء تصلح لا ونتف حينئذ نعدم فلن اختياريتين، يكونا أن عليهما بل للإلزامية، خاضعتان اللغتان في مسافرا فاليري يرى قد فقط وحينها .محبيهما من قليلة زمرة الطلبة بين اليونانية، أو اللاتينية الكتب أمهات من كتابا مصراعيه على يفتح غيره أو القطار إليه يذهب كان ما صواب الدوام على به يفسر ما هو قبل من انعدامه كان إذ .مأخوذا كان فاليري فإن أحيانا، السديدة بل الملموسة، الملاحظات هذه عن النظر بغض مادي أساس عن يبحث ولم لديه، المألوف الشعري بنفَسه نصه في العموم على الإنشائية، الصيغ ءفضا في يهوم ظل بل عدّدها، التي العديدة للظواهر وموضوعي الكبير الكاتب بمكانة متنعما المتعالية، الأرستقراطية النظرة كرسي معتليا .الكلام ذهب كونه على سيؤخذ فِيه من صدر ما كل أن مقتنعا له، كانت التي عاد لو له سنشرح كيف لكن حاضرنا، على الرجل ملاحظات من كبير جزء ينطلي بات من بشيء الهلامية تحليلاته سيطعم وهل الرقمية؟ الثورة إليه انتهت ما اليوم إلينا الفرنسية؟ اللغة أكاديمية في الجدد رفقائه إلى سينظر عين بأية العلمي؟ المنهج اليوم؟ فرنسا إليها آلت التي الأيدي في رأيه سيكون وكيف قوةب بالحض أيضا اليوم ألقاها لو محاضرته سينهي فاليري أن هو مؤكدا أمرا ثمة إن الهرم الأمل عوض المرة هذه اللسان تحت بمرارة لكن التفكير، فن تدبير على!

kermounfr@yahoo.fr